محاضرات في مقياس النقد الجزائري للسنة الثانية ماستر من إعداد الدكتورة :حفري فطيمة الزهرة .

الموضوع :بدايات النقد الجزائري .

تمهيد :يعد المشهد النقدي الجزائري مشهدا صقلته مراحل جمة ،فساهمت في توجيهه توجيها عربيا تارة وعالميا تارة أخرى. غير أن التي عليها اليوم كانت نتيجة تراكمات معرفية ،أدبية ونقدية بدرجة أولى.

1/المشهد النقدي في الجزائر قبل الاستقلال :لطالما اجتهدت الحركة النقدية الجزائرية في البحث عن نفسها لتجدد ما فيها من مناهج وأدوات إجرائية ومصطلحات نقدية يقول الدكتور مخلوف عامر :((إذا كان النقد حلقة في السلسلة الثقافية التي تسود المجتمع في ظروف معينة ،فإنه من غير شك يتأثر بالوضع الثقافي العام في الوقت الذي يمارس فيه هو الآخر تأثيره في البنية الثقافية)).

وعليه يتمظهر الأدب كونه شكلا من أشكال التعبير الإنساني ويتفاعل بشكل خاص مع الظاهرة النقدية ويتأثر بها سلبا و إيجابا.

2/عوامل جمود الحركة النقدية : لقد كان المشهد الجزائري آنذاك نذير خطر هبت رياحه على الأدب والنقد وذلك لأن الفكر الثقافي

استعماري بدرجة أولى يهدف إلى :

*/السعي للقضاء على معالم الهوية العربية .

*/الطابع الكولونيالي مهمته طمس معالم الثقافة الوطنية والتاريخية.

*/مهمة فرنسية بامتياز تطرح البديل عن ماهو أصلي ومحلي .

عوامل أخرى قد أوردها الدكتور مخلوف عامر في كتابه "مظاهر التجديد في القصة القصيرة "وقد أسهمت في ضعف الحركة النقدية في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين .

*/السيطرة الاستعمارية وسيادة الاتجاه التقليدي .

*/قلة الرصيد التراثي والموروث في الأدب والنقد لدى الاتجاه التقليدي بسبب الإقصاء.

*/الدور الهزيل الذي لعبته الصحافة في تشجيع و توجيه الأدب والنقد .

*/الموقف العدائي ضد الاستعمار ،وعدم اتقان اللغة الفرنسية ،والاستفادة من النقد الأدبي الفرنسي .

*/ضعف حركة الترجمة لدى الأدباء والنقاد الجزائرين .

*/انشغال معظم الأدباء والنقاد بالجانب السياسي ملبين نداء الوطن وواجب الوطنية .

تتوافق هذه العوامل مع ماذهب إليه "محمد سعيد الزاهري "وحديثه عن المشهد النقدي آناذاك ((أعرض على أدبائنا وكتابنا الجزائرين هذه القصيدة القصيرة ،وأرجو من كل أديب -قدر على نقدها – أن ينتقدها انتقادا أدبيا ،وأن يرينا أنموذجا من هذا الفن الجميل .فن النقد الذي هو ميز الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب ،والصحيح من الفاسد ،فإننا قد عرفنا أن بالجزائر شعراء فحولا ،وكتبت متقدمين ،وعرفنا مقدرتهم في أغلب وجوه الكتابة إلا في النقد الأدبي ،فإننا لمنعرف مبلغه ببلادنا الجزائر ،فهل يتقدم أحد من جملة الأقلام إلى هذه القصيدة ،فينتقدها بإنصاف يكشف سيئاتها ولا يظلم حسناتها؟ ليس الإنتقاد هو

الاقتصار على المدح أو القبح متى وجدا معا)) .وحتى الزاهري نفسه اعتقد أنه يمارس نقدا في اختبار يقظة النقاد ومدى قدرتهم على تحليل القصيدة ،فينتقدها وهي نظرة لاتخرج عن الدائرة التقليدية فالحكم على بيت في إطار القصيدة والحكم على حسن وقبح القصيدة.

رغم ماشهدته الساحة النقدية الجزائرية من ضعف قبل الاستقلال إلا أننا نلمح تلك المحاولات النقدية الجادة احتظنتها مجموعة من الصحف والمجلات .

3/الدور البارز لجمعية العلماء المسلمين :والتي من أهمها المنتقد –الشهاب –البصائر وكان من أبرز كتابها نقادا وأدباء أمثال : محمد البشير الابراهيمي ،أحمد رضا حوحو ،أبي القاسم سعدالله و عبد الوهاب بن منصور .إلا أن هذه الرؤى النقدية لم تخرج عن مجهوداتها جمعية العلماء المسلمين التي تسير في إطار الاتجاه التقليدي التراثي ،حيث اهتمت بعلوم اللغة العربية وآدابها ضمن توجهها الإصلاحي الديني .

إن الدور الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين يكمن في إشارتها إلى عناصر الهوية الوطنية (الدين-اللغة-الوطن) غير أنها بعيدة عن الممارسة النقدية العربية والعالمية.

ويعد سعيد الزاهري واحدا من أهم النقاد اللذين ثاروا على النقد الأدبي في المشرق وقد كتب مقالا هاجم فيه طه حسين ودعا إلى حرق كتبه وطالب بتحريمها وإدخالها الجزائر ولاسيما كتابه "في الشعر الجاهلي "،وفي وجهة تعد مساندة لما راح إليه الزاهري نجد "محمد مصايف" الذي وصف "طه حسين"بالشذوذ والشعوبية واستخدام الأساليب التي يريد تكريسها الاستعمار.

وعموما كانت النظرة التقليدية الغالبة على تلك الممارسة النقدية الأولية .فهي تركز على الموروث الديني لحماية النفس من الضياع في عالم الكولونيالية.

4/مابعد الركود و التقليد :وفي ظل هذه النظرة التقليدية برزت بعض المحاولات النقدية المجددة الرافضة ويتعلق الأمر ب:رمضان حمود ،أحمد رضا حوحو.اللذان لهما آراء تجديدية لمفهوم النقد والأدب آراء منفتحة على النقد والأدب الجديد وعلى ثقافات أخرى يقول أحمد رضا حوحو:((ومن التعصب الذميم أن ننكر النافع الجيد من مذاهب الغير في الأدب والفنون لأن أصحاب هذا المذهب لايمد إلينا بصلة)).

لقد كان النقد الأدبي في الجزائر نقدا لغويا وبلاغيا تقليديا سيطرت عليه النظرة الجزئية للألفاظ والمعاني ،وقد مثل لهذه المرحلة بالشيخ أبي القاسم الحفناوي وعبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب ومحمد بن أبي شنب .كما تمثلت في الدروس التي كان يلقيها الشيخ عبد الحميد بن باديس على تلاميذه إذ كان يدعوهم إلى القديم والعناية بهم.

وقد ظهر ذلك جليا في دراسته لكتاب الكامل للمبرد والأمالي لأبي عبد القالي وغيرها من الكتب التراثية أما ما ذهب إليه الشيخ البشير الإبراهيمي فهو ذلك الدور البارز في الحركة الأدبية والنقدية ،وقد كانت إسهامات وآراء الإبراهيمي الصحفية ولاسيما في جريدة البصائر خير موجه للأدباء والنقاد نظرا لما كان ينشره من نصائح وشروط للأدباء والكتاب اللذين كانوا يرغبون في الإنشاء والقول .كما استخدم

محاضرات في مقياس النقد الجزائري للسنة الثانية ماستر من إعداد الدكتورة :حفري فطيمة الزهرة .

الإبراهيمي ثقافته العربية والأدبية واللغوية الكبيرة في انتقاد الأدباء والشعراء وتقييمهم وتثبيتهم إلى مواطن الجودة والرداءة في أعمالهم .

وعليه ظهر بعد ذلك تحررا بعض الشيء من النظرة التقليدية وبات الاهتمام بمناهج غربية كالواقعية والرومانسية والسلوكية وهو مايظهر واضحا في أدب أحمد رضا حوحو "الواقعية " والمذهب الرومانسي الذي مثله حمزة بوكوشة ورضا حوحو ولذلك أمكن لنا أن نتكلم عن خطاب نقدي جزائري بعد 1961 بمحاولات جادة حيث جعلوا النقد من اهتماماتهم الخاصة .

****رمضان حمود:ال**شاعر والناقد الجزائري (1906/1929) ولد بمدينة غرداية ،كان لوالديه وجديه كل الفضل في تنشئته نشأة صالحة ،لما بلغ السادسة من عمره اصطحبه والده إلى غيليزان ،فالتحق بإحدى المدارس الفرنسية واشتهر بذكائه الحاد وقوة نبوغه منذ الصغر.

اصطدم حمود بمأساة التعليم في الجزائر المستعمرة بين تعليم فرنسي عصري المناهج والأساليب ولكنه يهدم الروحانيات ومقومات الشخصية الجزائرية هدما واضحا ،وتعليم ثان عربي حر ،عرفته الكتاتيب والمساجد والمدارس الخاصة ،عقيم الأساليب ،ضعيف المناهج آثر والده أخذه في بعثة تعليمية إلى تونس حيث زرعت فيه الاستقامة خلقيا ودينا .

درس في المدرسة القرآنية ثم المدرسة الخلدونية ثم الجامع الأعظم ،درس الخط العربي وبرع فيه ،درس الجغرافيا والتاريخ والنحو والصرف والتشريح والهندسة والعلوم الطبيعية بأسرها ،إلا أن مرض السل مزقه وهو لازال طالبا.

****من أهم مادعا إليه رمضان حمود :**

- ضرورةالإحتكاك بالآداب الغربية ،في وقت كان الشعر الجزائري أقل مايقال عنه أنه شعر تقليدي ينتمي إلى الكلاسيكية فالدعوة الجريئة الصريحة إلى الاتصال بالغرب خطوة قام بها رمضان حمود الذي جهر بدعوته ،علم حمود أن السبيل الوحيد هو تحرير الأدب من قيود الماضي وما يطلق عليه بالجمود والتقليد الأعمى حين قال :((أنا لا أقصد بالترجمة الترجمة اللفظية والاختلاس والمسخ وقتل الأدب بالسيوف العجمية شر قتلة.....إن الأدب العربي مريض ومشرف على الهلاك ان لم يتداركه أبناؤه في عصر خالف تمام الاختلاف عصوره المتقدمة فهو يحتاج إلى دواء ناجع إن لكل زمان رجال ولكل أدب مخصوصا به لايجب أن يقلده الجيل الذي يليه .

- **اهتم حمود بشكل القصيدة** :لم يكن يفصل المضامين عنها وقد ركز على قضية الصدق الفني فقال أن العملية الشعرية هي الأساس في القصيدة الشعرية ،فالشعر مصدره النفس الإنسانية فمصدر الشعر النفس والروح والقلب ومادته الإحساس والشعور وهذا لا يتأتى إلا بالاحتكاك والممارسة .

- **الإلهام والموهبة** :هنا تتحد شروط النقد والكتابة الشعرية متأثرا بالناقد الفرنسي الشهير "شابلين chaplinne"فقال :((إن الشعر هو النطق بالحقيقة ،تلك الحقيقة العميقة ،فالشعور في نظر هذا الناقد الجزائري إلهام تولده الطبيعة في نفس الشاعر .

- بساطة اللغة :كان يهتم باللغة البسيطة ،وأن لايتعمد الشاعر التكلف في التعبير فقال ((أيها الأدباء الأحداث انبذوا عنكم التكلف والتصنع في اللغة وأفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل)).

محاضرات في مقياس النقد الجزائري للسنة الثانية ماستر من إعداد الدكتورة :حفري فطيمة الزهرة .

-التصوير والتعبير في الشعر :اعتبر رمضان حمود الناقد الجزائري،الشاعر والمصور أجيرين للفن والجمال وكلاهما مدين بالإجادة والتدقيق في النظر .وقد اهتم كثيرا بالعاطفة ودورها في إبراز الصورة الشعرية وقد اعتبرها أول عنصر يساعد على إنجاح الشعر ،والواقع أن المذهب الرومانسي كان يعطي أهمية عظيمة للعاطفة والصورة .

وما نخلص إليه ،أننا ندرك جيدا الدور البارز الذي لعبه الناقد الجزائري رمضان حمود كونه رائدا حديثا في ميدان النقد الأدبي ،ولاسيما في مجال نقد الشعر فقد عالج قضايا جوهرية منها رسالة الشعر ودوره في الحياة.

انطفأت هذه الشعلة من الطموح والحماسة سنة 1929.

يبقى النقد الجزائري اليوم يناصر أكثر من نظرية ليرتقي بممارسات إجرائية جمة تسهم في دفع عجلة التحرر من قيود التقليد.